

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .
أما بعد :

فإن الله تبارك وتعالى امتدح الإخلاص وأثنى على أهله ، فقال : (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ)
وقال سبحانه : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ك)
وقال جل ذكره لنبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)

وأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال في شأن رسوله صلى الله عليه وسلم : (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي)

وقال في شأن عباده المؤمنين : (قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ)
وتبين أهمية الإخلاص في النقاط التالية :

1 - كون الإخلاص ركنٌ من أركان قبول العمل الصالح ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، لكونه أغنى الشركاء عن الشرك .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَعْنَى الشِّرْكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ . مَنْ عَمِلَ عَمَلًا شَرَّكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ . رواه مسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتُغِيَ به وجهه . رواه الإمام أحمد وغيره .
وفي قوله تعالى : (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) قال الفضيل بن عياض : هو أخلص العمل وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً ، فالخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

قال الله تبارك وتعالى : (لَئِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) .

2 - أن إخلاص العمل أمان من سوء الخاتمة ، فقد روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتلوا ، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنه من أهل النار ، فقال رجل من القوم : أنا صاحبه أبدا ، فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه قال فجرح الرجل جرحا شديدا ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : وما ذاك؟ قال : الرجل الذي ذكرت أنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحا شديداً ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه وضوء وذبابه بين ثديه ، ثم تحامل عليه ، فقتل نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة . متفق عليه .

أن العبد إذا فقد الإخلاص كان حظه من العمل الصالح هو التعب والنصب ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر . والحديث في المسند من حديث أبي هريرة .

فربما عمل الإنسان العمل الصالح وهو يظن أنه على خير ، فإذا فاته شرط من شروط قبول العمل الصالح لم يكن له منه إلا المشقة ، كما لو صلى مائة ركعة في وقت النهي ، أو صام في أيام النهي كذلك ، ونحوها ، فلو كان العمل خالصا لكنه لم يكن على السنة لم يقبل ، ولو كان على السنة ولكنه غير خالص لم يقبل .

وهذا ما فهمه السلف الصالح ، فقد رأى سعيد بن المسيب رجلا يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيها الركوع

والسجود نهاه ، فقال : يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة ؟ قال : لا ولكن يعذبك على خلاف السنة . رواه عبد الرزاق . قال ابن القيم : لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أبحار أهل الكتاب ، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين . ولذا كانت مرتبة الإحسان أعلى من مرتبة الإيمان ، لما فيها من عبادة الله ومراقبته دون الالتفات إلى الخلق . وقال صلى الله عليه وسلم : من غزا في سبيل الله وهو لا ينوي إلا عقلاً قلّه ما نوى . أخرجه النسائي . وربما قاتل المقاتل فذهبت النفس والمال وليس له إلا مانوى من غزوه وقتاله .

3 - أن إخلاص العمل ينفع أحوج ما يكون إليه صاحبه ، قال صلى الله عليه وسلم : من استطاع منكم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل . رواه الحافظ الضياء في المختارة ، وهو في صحيح الجامع . وفي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فانطبقت صخرة فأغلقت عليهم فم العار فقالوا : إنه لا يُنجيكم إلا أن تدعوا الله بخالص أعمالكم . وفي رواية : فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم . متفق عليه .

خطورة الرياء :

أولاً : أنه يُحبط العمل ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما يريوه عن ربّه : **أَنَا أَعْنِي الشَّرَكَاءَ عَنِ الشَّرِكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشَرَكْتُهُ .** رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يُقال لمن يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فاطلبوا ذلك عندهم .** وقال الفضيل بن عياض : **كانوا يقولون ترك العمل للناس رياء ، والعمل لهم شرك . عافانا الله وإياك .**

ثانياً : أن الإخلاص مما ينفي الغلّ عن قلب المسلم ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : **ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة ؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .** رواه أحمد وأهل السنن .

قال ابن عبد البر : معناه لا يكون القلب عليهن ومعهن غليلاً
أبداً ، يعني لا يقوى فيه مرض ولا نفاق إذا أخلص العمل لله ،
ولزم الجماعة وناصح أولي الأمر .

وقال ابن رجب : هذه الثلاث الخصال تَنْفِي الغِلَّ عن قلب
المسلم .

فعدمُ الإخلاص يُورث القلبَ الأضغان والأحقاد .

رابعاً : أن الرياء في العمل يكون وبالاً وعذاباً وحسرةً على
صاحبه يوم القيامة ، يوم يُشْهَرُ بصاحبه على رؤوس الأشهاد ،
وعندها تزداد حسرته وندامته .

ويَدُلُّ على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : مَنْ سَمِعَ سَمْعَ
الله به ، ومن رأى رأى الله به . رواه البخاري ومسلم .
قال العز بن عبد السلام : الرياء أن يَعْمَلَ لِغير الله ،
والسُّمْعَةَ أن يُخْفِي عَمَلَهُ لله ، ثم يُحَدِّثُ به الناس .

ومما يدلُّ على خطورة الرياء وشدة حسرة وندم المرأين ، ما
رواه مسلم عن أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم : إن
أول الناس يُفْضَى يوم القيامة عليه رجل اسْتُشْهِدَ ، فَأَتِيَتْ به
فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا ، قال : فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : قَاتَلْتُ فِيكَ
حتى اسْتُشْهِدْتُ . قال : كَذَبْتُ ، ولكنك قَاتَلْتَ لِأَن يُقَالَ جَرِيءٌ ،
فقد قيل ، ثم أَمَرَ به فَسُجِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار ،
وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وقرأ القرآن ، فَأَتِيَتْ به فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ
فَعَرَّفَهَا ، قال : فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ،
وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قال : كَذَبْتُ ، ولكنك تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ :
عَالِمٌ ، وقرأت القرآن لِيُقَالَ : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أَمَرَ به
فَسُجِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ
وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأَتِيَتْ به فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا ،
قال : فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : ما تركت من سبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ
فيها إلا أنْفَقْتُ فيها لك ، قال : كَذَبْتُ ، ولكنك فَعَلْتَ لِيُقَالَ هو
جواد ، فقد قيل ، ثم أَمَرَ به فَسُجِبَ على وجهه ، ثم أُلْقِيَ في
النار .

ولما قالت عائشة يا رسول الله : إن ابن جُدعان كان في
الجاهلية يَصِلُ الرَّجْمُ ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ، فهل ذاك نافعه ؟ قال :
لا يَنْفَعُهُ ، إنه لم يَقُلْ يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . رواه
مسلم .

وهذا يعني أنه لم يعمل العمل يوماً وهو يُريد الدار الآخرة ،
ويرجو رحمة ربه .

العمل والرياء :

ينقسم العمل الذي يُخالطه أو يُصاحبه الرياء بالنسبة لقبول العمل من عَدَمِهِ إلى أقسام :

- 1 - أن يُصاحبه الرياء من أصل العمل فيحبط العمل بالكلية .
 - 2 - أن يطراً عليه الرياء خلال العمل دافعه فإنه لا يضرّه ، وإن لم يُدافع الرياء فَلَهُ حالات :
 - 3 - إن كان العمل مما يتجزأ ، كالصدقة ونحوها ، فما دَخَلَهُ الرياء حابط ، وما لم يدخل الرياء لم يحبط .
- وإن كان مما لا يتجزأ كالصلاة ونحوها فإنها تحبط ، لعدم مُدافعتة للرياء .

ولذا قال عليه الصلاة والسلام : إنما الأعمال كالوعاء إذا طَابَ أسفله طاب أعلاه ، وإذا فَسَدَ أسفله فَسَدَ أعلاه . رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .
والمُرَاد بذلك النية ، فإنها هي أصل العَمَل ، فإذا صَلَحَتْ صَلَح العَمَل ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ العَمَل .

وَإخفاء العمل مطلبٌ شرعي ، وهو الأصل إلا أن تدعو الحاجة إلى إظهاره .

ففي حديث أبي هريرة المتفق عليه - في ذكر السبعة الذين يُظَلِّمُهم الله بِظُلْمِهِ - قال صلى الله عليه وسلم : ورجل تصدَّق بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لا تَعْلَمَ شماله ما تُنْفِقُ يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

وقال عليه الصلاة والسلام : الجاهرُ بالقرآن كالجاهر بالصَّدَقَةِ ، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرُّ بالصدقة . رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي .

وكلما كان العمل أبعد عن أعين الناس كلما كان أدعى وأحرى إلى الإخلاص ، ولذا كانت صلاةُ النافلة أفضل إلا في البيت ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : فصلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة . متفق عليه من حديث زيد بن ثابت ،

ورواه أبو داود بلفظ : صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة .

فصلاة الرجل النافلة حيث لا يراه أحد أفضل من صلاته في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، مع كون الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، كما في الصحيحين .

ولذا كان الصالحون يجتهدون في إخفاء العمل الصالح .

رأى ابن عمر رجلاً يُصلي ويُتابع قال له : ما هذا ؟ قال : إني لم أصل البارحة ، فقال ابن عمر : أتريد أن تخبرني الآن ! إنما هما ركعتان .

ولما قال سعيد بن جبير لأصحابه : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قال حصين بن عبد الرحمن : قلت : أنا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت . فدَكَرَ الحديث . رواه مسلم .
فقوله - رحمه الله - : أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت ، لينفي عن نفسه حبَّ السمعة والشهرة ، وليعلم جليسه أنه لم يكن في صلاة .

وما ذلك إلا لحرصهم على الإخلاص .
وقد كان عمل الربيع بن خثيم كله سِرّاً ؛ إن كان ليحس الرجل وقد نَشَرَ المصحف ، فيغطيه بثوبه .
قال الأعمش : كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف ، فاستأذن عليه رجل فغطى المصحف ، وقال : لا يراني هذا أني أقرأ فيه كل ساعة .

قال عبدة بن سليمان : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو ، فلما إلتقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فقلعه ، ثم آخر فقلته ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فقلعه فقتله ، فازدحم عليه الناس وكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو مُلْتَمٌ وجهه بكمه ، فأخذت بطرف كفه فمددته ، فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وأنت يا أبا عمرو ! ممن يشنع علينا .

قال محمد بن القاسم : صحبت محمد بن أسلم أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي - حيث أراه - ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة ، وسمعته كذا وكذا مرة يحلف لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني مَلْكَاي لَفَعَلْتُ خوفاً من الرياء ، وكان يدخل بيتاً له ويُغلق بابه ، ولم أدر ما يصنع حتى سمعت ابناً له صغيراً يحكي بُكاءه ، فَتَهْتَهُ أُمُّهُ ، فقلت لها : ما هذا ؟ قالت : إن أبا الحسن يَدْخُلُ هذا البيت فيقرأ ويبكي ، فيسمعه الصبي فَيَحْكِيهِ ! وكان إذا أراد أن يَخْرُجَ عَسَلَ وَجْهَهُ واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء .

وكان أيوب السخيتاني في مجلس فجاءته عَبْرَةٌ ، فجعل يتمخّط ويقول : ما أشدُّ الزكام !

قال ابن المبارك : رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .

وصدق - رحمه الله - فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة قال : إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر . رواه البخاري من حديث أنس ، ورواه مسلم من حديث جابر وفيه : إلا شركوكم في الأجر .

فهؤلاء لما صلحت نيّاتهم وخلّصت لله كُتِبَ لهم مثل أجر الغزاة الذين غزوا في سبيل الله .
فبإخلاص العمل تعظم الأعمال الصالحة ، وإن كانت مما يتقاه الناس ..

فقد عَفَرَ الله لرجل بسبب غصن شوك أُخِّرَه عن الطريق . كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً
وَعَفَرَ لامرأة بغيٍّ سقت كلباً يلهث من العطش . كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً .
وبما أن الأمر كذلك فإن المسلم يعمل الأعمال الصالحة ويجتهد فيها ، فإنه لا يدري ما هو العمل الذي يُغفر له بسببه .